بســـم اللـــه الرحمن الرحيم

فخامة الرئيس، العماد ميشيل سليمان؛

أصحاب الدولة والمعالي والسعادة والعطوفة؛

أصحاب النيافة والسماحة؛

الحضور الكرام؛

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

إسمحوا لي بادئ ذي بدء أن أستهل كلمتي هذه بنقل تحيات صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال، رئيس مجلس أمناء المعهد الملكي للدراسات الدينية، إلى فخامة الرئيس العماد ميشيل سليمان، وإلى حكومة وشعب لبنان. كما يسعدني أن أنقل تحيات سموه وتقديره إلى الأستاذ الدكتور سليم دكاش، رئيس جامعة القديس يوسف، وإلى جميع القائمين على عقد هذا المؤتمر الهام حول أحد أهم المواضيع والتحديات المتعلقة بوجود الجماعات المسيحية في الشرق.

وأسلم عليكم وأحييكم جميعاً تحية التقدير والمحبة وأخص بالتحية الأستاذ الدكتور ناجي إدلبي، رئيس اللجنة التحضيرية لهذا المؤتمر على جهوده الطيبة وصبره الكريم على مكالماتي إياه خلال الأسابيع الماضية.

وبعد تقديم التحية والاحترام إلى هذا الصرح العلمي العظيم في لبنان الشقيق، أرجو أن تسمحوا لي أن أشارككم ببعض الأفكار حول ندوتنا هذه.

للحرب على الإرهاب منذ عام ٢٠٠١ أبعاداً ونتائج يتحسسها الإنسان المسلم والمسيحي على حدّ سواء، وموجة الإسلاموفوبيا التي تتبناها بعض الجهات الغربية المتصهينة لا تؤذي أحاسيس ومشاعر المسلمين وحسب وأنما جميع أهل المنطقة العربية، حيث أن مثل هذا الأذى يشمل الجميع دون إستثناء، إذ يجوز للمسيحي العربي أن يقول أن من آذى مسلماً أو آذى مشاعره فقد آذاني.

توصلت الحركة الصهيونية إلى قناعة بعد حرب ١٩٦٧ مفادها ضرورة تفجير التناقضات ثم القضاء على التعددية التي تعد من أبهى مظاهر الحضارة العربية الإسلامية وأهم رموزها الوجود المسيحي في المنطقة كي تتمكن من التأكيد على ضرورة يهودية الدولة العبرية من جهة والتأكيد للغرب أن الصراع التاريخي على المنطقة وروحها ومقدساتها صراع تقوده الحضارة اليهودية الغربية ضد ما تدعوه القوى الظلامية في الحضارة العربية الإسلامية.

مثل هذه العجالة على خلفية ما نحن بصدد البحث فيه ضرورية كمؤشر على ما يتوجب التفاكر حوله نظراً لتشابك التاريخ بالجغرافيا والمصالح بالعقائد، إذ يجب التنبه إلى ما يجري في الدول الغربية بما في ذلك إسرائيل منذ ١٩٦٧ من حيث تحرّك الطيف السياسي الداخلي المستمر من اليمين إلى مزيد من اليمين وربما الأشد تطرفاً في هذه البلدان.

لا سبيل إذاً أمام الجماعات المسيحية في تشكيل خطاباتها السياسية والثقافية إلا بمزيد من التأكيد على هوياتها وأصالتها العربية وبمزيد من الانفتاح والمشاركة في مجتمعهم الحضاري الواسع، فإنا أحسب أن الصراع لا زال في بداياته وأن التحدي الأعظم الذي سيبقى معنا على مدى المستقبل المنظور يكمن في كيفية إقامة علاقات معقولة مع الغرب رغم جميع التحديات والعراقيل التي لن تنفك الصهيونية عن وضعها على دربنا.

نحن مع الحوار ونقدر ونثمن جهود الفئات والجماعات وعلى رأسها حاضرة الفاتيكان التي تعد من أهم عناصر الحوار الهادف والمفيد والبنّاء. ففي هذا الزمان الذي أضحى الجميع فيه جيراناً للجميع نتيجة لوسائل الحرب والإتصال، يمثل الحوار السبيل الوحيد لا لبقاء البشرية

وأبدأ بالقول أن عنوان هذه الندوة "**تحليل خطاب الجماعات المسيحية في زمن الأزمات**" يوحي أن لهذه الجماعات خطاباً خاصاً بها، وأنها تبحث عن حلول لما تتحسسه من ضغوط عليها، وأتسائل وإياكم هل عرفنا نحن أهل المشرق وخصوصاً منذ إطلالة العصر الحديث سوى الأزمات؟

ثم أقول بأن أمتنا العربية بمسلميها ومسيحييها وغيرهم تجد نفسها في ورطة مع نفسها ومع العالم وأن جو الأزمة الحضارية الذي يعصف بالأمة جمعاء جو خانق، ولكن يبدو أن هذه الجماعات المسيحية تعاني من تحديات وضغوط خاصة بها تفوق تلك التي تعاني منها الأمة جمعاء؛ ورطة يبدو وكأنها تفوق طاقتها بحيث أنها لم تجد بعد المخرج المعقول منها.

منذ عصر النهضة أو عصر التنوير الذي أطل على عالم الغرب بعد نهاية العصور الوسطى وظهور الحركة البروتستانتية الاحتجاجية على الكنيسة الكاثوليكية بقيادة مارتن لوثر وتمكن الصهيونية من التغلغل في جوف الحضارة الغربية حتى أصبحت اليوم تعرف بالحضارة اليهودية المسيحية وتسبق فيها اليهودية التي ربما لا تشكل ما مجموعه العُشر من الواحد بالمائة من سكان العالم الغربي، والضغوط آخذة في التزايد على الأمة العربية الإسلامية وجماعاتها كافة وعلى المسيحيين المشرقيين بصفة خاصة، كونهم كانوا في طليعة المدافعين عن قومية الأمة وقضاياها.

هناك بالطبع أسباب كثيرة لتزايد الضغوط الغربية المتصهينة على المسيحيين المشرقيين بعضها ديني وبعضها غير ذلك، أما ما زاد من حدتها فهو أنهم عرب أقحاح من طين البلاد وحضارتها من جهة وكونهم عنصر أساسي من عناصر إحياء الروح والثقافة والقومية العربية وبالذات منذ منتصف القرن التاسع عشر من جهة أخرى. ولعل تعلقهم الشديد واستماتتهم في الدفاع عن القدس الشريف ومقدسات الأمة وعن فلسطين وشعبها وجغرافيتها وأرضها المباركة هو ما نبّه إسرائيل ومؤيديها من المحافظين الجدد في الغرب إلى ضرورة تهجيرهم، الأمر الذي تزامن مع ردة فعل المد الإسلامي في المنطقة منذ عام ١٩٤٨، فالقدس التي تحتلها اليوم إسرائيل كانت على مدى التاريخ قبلة حج المسيحيين إليها.

فحسب وإنما لتطورها بحيث تصبح أكثر إنسانية ورحمة ورفقاً بذاتها ومكونات ومكنونات هذه الذات.

وسيبقى التحدي كبيراً بل قد يتعاظم، إذ كيف التوصل إلى حوار معقول مع من لا يرغب في الحوار أصلاً أو مع ذاك الذي يتقصد ألا يفهم؟ أما بالنسبة لنا في أوطاننا العربية، فالحل هو في التركيز على دولة المواطنة المدنيّة.

إن أمام مسيحيي الشرق عقبات كثيرة وصعبة بعضها لا شك أنه من صنعهم إذ يتوجب عليهم توحيد جهودهم وتكثيفها للعمل الجماعي الهادف إلى رفض الاستمرار في الهجرة والتهجير. وأحسب أن لبنان قادر على التصدي لمثل هذه المهمة الجليلة نظراً لما يتمتع به من طاقات، ولأنه على الرغم من جميع الصعاب التي مرت به يبقى المثال الأفضل للعيش المشترك والذي قد يتطور ليصبح الأنموذج وخصوصاً إذا تم التوصل إلى تسوية معقولة للقضية الفلسطينية وما تفرزه هذه القضية من تشنجات وتصدعات وعنف. وفي أجواء ما يسمى بالربيع العربي تبقى اليد على القلب تخوفاً من إنعكاس ما يجري في سوريا علينا في الأردن وعليكم في لبنان بالدرجة الأولى.

وختاماً، أقول أن إستقرار وراحة بال وطمأنينة مجتمعاتنا العربية الإسلامية لن تتأتى إلا عبر التعددية وقبول الآخر والتعايش الفعال بين جميع مكونات هذه المجتمعات بحيث يشد بعضها من أزر بعض في وجه التحديات اللامتناهية للقرن الحادي والعشرين وبحيث تشكل ما أراده الله تعالى لها أن تكون لوحة فسيفسائية تعددية بهية لا توجد في أي بقعة أخرى على وجه هذه الأرض.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

أ.د. كامل أبو جابر